

الجهل شر البلاء

أحمد بن صالح بن إبراهيم الطويان
دار طويق للنشر والتوزيع

الموقع الرسمي للشيخ أحمد الطويان
www.attwayan.com

المقدمة

العلم يبني بيوتاً لا عماد لها
والجهل يهدم بيت العز والشرف

إن أول لفظ من الوحي، وأول أمر إلهي قرآني ﴿أَقْرَأْ﴾ وما ذلك إلا دليل على أهمية العلم وطلبه ومكانة أهله، لكن العلم المادي - رغم أهميته - لا يغني صاحبه عن علم الشريعة والعقيدة التي من أجلها خلق الله الخلق جميعاً ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ .

بل إن هذا العلم يعدّ الضابط الموجه للعلم المادي حتى لا ينحرف بالناس أو ينحرف به الناس إلى مهاوي الردى.

المؤلف

ظهور الجهل

في وقت تقدم فيه تحصيل المعلومات وظهور علوم الدنيا وانتشارها ففي كل وقت تتجدد علوم الدنيا إلا أن علم الشريعة في انحسار وقلة وإن كثرة القراء فيقل الفقهاء، وإن كثرة المتعلمون فيقل العلماء وإن ظهرت وسائل التعلم إلا أن الجهل ينتشر والجهل الذي نقصده ليس كما يظنه بعض الناس عدم معرفة القراءة والكتابة إنه الجهل بدين الله وشريعة الله وأحكام الشرع المطهر، الجهل بعقيدة التوحيد والجهل بمقاصد الشرع حتى كثرة الجهل بشريعة الله وذهب العلماء.

فالجهل شر البلايا التي تحل بالأمم فهو مصدر الآفات والمصائب وهو مستنقع الرذائل .. قال

عليه الصلاة والسلام: «إن بين يدي الساعة أياماً يتزل فيها الجهل ويرفع فيها العلم ويكثر فيها الهرج والهرج القتل» (١) .

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان وينقص العلم وتظهر الفتن» (٢). وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من العباد ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوساً جهالاً فُسئِلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» (٣).

قال سفيان — رحمه الله تعالى: (تعوذوا بالله من

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

فتنة العالم الجاهل وفتنة العالم الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون)، فالجهل آفة خطيرة به تضل الأمة وتفترق وتتنازع وبه تظهر الفتن ويكثر القتل، وإن آفة الأمة الحقيقية اليوم هي الجهل بدين الإسلام وعلم الشريعة ففي وقت ذهب فيه علماء ربانيون وأئمة مهديون كان لهم الأثر على الأمة في اجتماعها وتآلفها وترابطها ونبذ الجهل عنها، وتعليم الجاهل وإرشاد الضال، وفي غياب دور البقية الباقية من علماء الإسلام عن الريادة والتصدي لأمر الأمة نتج فراغ سده متعلمون أدعياء على العلم يظنون أن العلم كلمات وبيانات وادعاءات وتقولات حتى صاروا باب فتنة وبلاء على الأمة واتهامات وصدق رسول الله

عليه الصلاة والسلام: «فاتخذ الناس رؤوسا جهالا». إن العلم ليس بالمظهر وليس بكثرة الحفظ والقراءة والاطلاع فقط وإنما العلم بالفقه (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) في الفهم الصحيح الذي يقود إلى ما وصل إليه علماء الإسلام وأئمة الهدى، والذي يقود إلى الرشاد والبيان بعيداً عن الإثارة والبهتان.

إن الأمة اليوم وقد ابتليت بمن يتجرأ على الفتوى ويحلل ويحرم ويؤكد ويجزم بمسائل من العلم ليس هو من أهلها، ابتليت بمثل هؤلاء الذين كانوا سبباً في ضلال الأمة وتضليل العامة، ومنهم من ينصب نفسه مدافعاً عن حقوق الأمة وقائداً للدفاع عنها وهو لا يحسن عبادته وفقه صلواته،

إن كثيراً من الجهلة لو سألته عن مسألة في أمر عبادته وفي عقيدته لم يعلم شيئاً وهو من هو في نظر نفسه يُكفر ويبدع ويفسق ويرمي الآخرين بالنقائص ويدعي الكمال لنفسه والعيب لغيره.

إن هؤلاء وأمثالهم اجترؤوا على مسائل من العلم لو عرضت على عمر بن الخطاب لجمع أهل بدر يستشيرهم وهؤلاء يتكلمون عنها في جلسة أو في لحظة .. وإنك لتعجب كل العجب من اعتزازهم بأنفسهم واعتقاد أن الحق هو الذي تنطق به ألسنتهم وأن الباطل هو ما عند غيرهم، يثيرون العواطف بكلمات معسولة فيها النصح للأمة وهم لم ينصحوا لأنفسهم، تجدهم قد اشتدت غيرتهم ولكن لجهلهم لا يرون طريقاً

للإصلاح إلا ما رأت أنفسهم واهتدت إليه
عقولهم دون النظر إلى النصوص الشرعية، وإن
نظروا فهم ينظرون بأفهامهم دون تجرد وإنصاف،
فيفهمون أفهاماً مغلوطة ويقعدون لأحكام غير
صحيحة، فرويداً أيها المتعاملون وحسبكم أنكم
تأخذون مما أمر الله بالأخذ فيه وأمر به رسوله
عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم ما إن
تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبداً كتاب الله
وسنتي». «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين
المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ».
واحذروا إلقاء الكلمات التي تكون سبباً في إثارة
الفتن والشقاق والتزاع.

قال عليه الصلاة والسلام: «إن الرجل ليتكلم

بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوي بها
في النار سبعين خريفاً».

العلم دين

قال ابن سيرين (إن هذا العلم دين فاعرفوا ممن تأخذون دينكم) فدين الله وشرعه يؤخذ عن العلماء الراسخين والأئمة المهديين علماء الشرع، وأهل الورع والتقوى وأئمة الهدى وفي زمن مثل زماننا كثر أدعياء العلم يتأكد أن ينظر المسلم عمن يأخذ دينه، فليس العلم بالمظهر ولا بالكبر ولا بطلاقة اللسان وفصاحة البيان ولا بسجع الكلمات وتنميق العبارات ولا بجمال الصوت، وإنما العالم من كانت آثار العلم واضحة عليه بالسمت والخشية والوقار والسكينة وفي اتباع الكتاب والسنة وعلماء الأمة.

أسباب انتشار الجهل

لانتشار الجهل بالشريعة أسباب كثيرة منها:
الزهد في تعلم شريعة الله والنظر إلى العلم على أنه علوم الدنيا وطلب العلم على غير أصوله وطريقته، وطلب العلم على غير هدي السلف الصالح، وطلب العلم من أجل الدنيا، وطلب العلم للتكسب وللجاه وللرئاسة والواجب طلب العلم لوجه الله عز وجل لتظهر بركته وأثره على الأمة، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء أو لتخيروا المجالس فمن فعل ذلك فالنار النار» (١)

(١) رواه ابن ماجه.

وإن زهد كثير من المسلمين في تعلم الشريعة وتزهد أبنائهم بالعلم الشرعي من أسباب انتشار الجهل وكذلك اهتمام كثير من الناس بنوافل العلم ووسائله عن العلم الضروري الذي يجب تعلمه والاهتمام به، وإن الواجب على طلاب العلم والعلماء القيام بدورهم لنصيحة الأمة والقيام بواجب التعليم والدعوة إلى الله عز وجل فإن تقاعسهم وانشغالهم عن هذا الواجب هو الذي أوجد هذا الفراغ وكان سبباً في انتشار الفتن وكثرة الجهل والجهلة والمتعلمين، وإن انتشار وسائل العلم من الكتب والمطبوعات والأشرطة ووسائل العلم الحديثة لا يعفي عن القيام

بالمسؤولية المباشرة ممن آتاهم الله العلم والفقّه فلا بد من جلوسهم للتعليم والتوجيه والتربية والإصلاح والدعوة، وليعلموا أن هذا هو الخير وهو العمل الذي يبقى لهم وهو المؤثر الذي يكون فيه صلاح الأوضاع واختفاء الجهل، وإن الاتكالية وإلقاء اللوم على الآخرين لا يصلح من الحال شيئاً فكلُّ بحسبه وجهده حتى تثمر الجهود وتكاتف السواعد للقيام بالمسؤولية وإن ما يوجد من وسائل وإمكانيات هو حجة على الجميع أن يأخذوا بها وأن يسعوا إلى استغلالها في بيان العلم والدعوة إلى الله وتعليم الجاهلين.

العلم ليس بالمظاهر

إن صلاح الشخص واستقامته وغيرته لا تجعل منه عالماً يفتي ويحلل ويحرم ويقول في دين الله عز وجل بغير علم، فالعلم له أهله والشريعة لها علماؤها ونجومها الذين يضيئون للناس طريقهم، وإن من اختلاط المفاهيم أن يتخذ كل صالح عالماً وكل متكلم أو كاتب فقيهاً، وكل غيور مرجعاً في قضايا الأمة وأحداثها، إن هؤلاء وأمثالهم على خير وفضل لكن يجب عليهم ألا يخوضوا فيما ليس لهم به علم وأن يتقوا الله عز وجل، وعليهم أن ينشغلوا في طلب العلم وتحصيله على أصوله وطريقة السلف - رحمهم الله تعالى. مع غيرهم وحماسهم لكن لا يدفعهم ذلك إلى أن يتصدروا

للناس فيكونوا رؤوساً جهالاً.

وليحذروا ويحذر غيرهم من انتقاص أهل العلم
والزهد فيما عند العلماء من العلم بحجج واهية ..
هي من نسج الشيطان وتوهمه وخطواته في
الإضلال.

وإن من الجهل علاج الأخطاء بأخطاء أعظم
منها، ومن الجهل علاج الأخطاء بإثارة فتن أشد
منها وأعظم خطراً.

فإذا اجتمع الجهل والتهور والعجلة وعدم النظر
في عواقب الأمور أورت ذلك فظائع الوقائع
والأحداث والاعتزاز بالنفس والهوى.

